

العنف والتسامح

الاسئلة المحتمل ورودها

- هل العنف مشروع أم غير مشروع؟
- هل نقابل العنف بالعنف أم العنف بالتسامح؟
- هل العنف ايجابي أم سلبي؟

1) المقدمة:

بما أن الإنسان كائن اجتماعي فهو يعيش في وسط يؤثر ويتأثر به بشكل تلقائي عن طريق مجموعة من السلوكات، منها التعودية ومنها الفطرية ولكن أحياناً أخرى نجد أنه يستعمل العنف في علاقاته مع الناس، ويمكننا تعريف العنف على أنه «كل سلوك يمارس بالقوة، وهو نوعان لفظي كالشتم وجسدي كالضرب» وحول مشروعية هذا العنف في المجتمع وقع جدل مما أدى هذا إلى وجود موقفين متعارضين الأول يرى أنه يجب مقابلة العنف بالعنف والثاني يعارضه ويرى أنه يجب مقابلة العنف بالتسامح، وعليه نطرح إشكالية نعالج بها هذا الموضوع ونقول هل العنف مشروع أم غير مشروع؟ وبصيغة أخرى هل نقابل العنف بالعنف أم العنف بالتسامح؟

2) الموقف الأول:

يرى أنصار الأطروحة الأولى أن العنف مشروع وهو مطلوب في مختلف جوانب حياة الإنسان السياسية والدينية ويحقق نتائج يعجز عنها التسامح، وأهم من دافع عن هذا الموقف نجد «مكيافيلي» «توماس هوبز» «فريدريك نيتشه» «هيراقليطس» «فرويد» وكانت حججهم كالآتي:

فمن الناحية السياسية يرى «مكيافيلي» أن ما يجعل البلاد تقوم وتقوى هو الحاكم العنيف مع شعبه، فقد دافع على أن يخاف الناس من الحاكم على أن يحبوه، ولو خُيّر بين أمرين بين محبة الناس له أو خوفهم منه، يجب أن يختار الخوف لأن هذا يجعلهم لا يتدخلون في قراراته السياسية وأيضا عندما يضع أية قانون لا يناقشه مع أي أحد ولا أحد يستطيع معارضته أو الانقلاب عليه، بالإضافة إلى ذلك يجب أن يكون الحاكم مثل الأسد في القوة وإذا وجد شيء غير ملائم له يمزق ولا يتسامح معه، وأن يكون مثل الثعلب في المكر ومثل الذئب في الخداع، وهذا ما يجعل الدولة تقوم لأن قوة الدولة من قوة الحاكم ويقول «ميكيافلي» «لو خُير الحاكم بين أمرين أن يموت نصف الشعب وهو يبقى في السلطة أو يتنحى عن السلطة ويعيش نصف الشعب لاختار الأول» ويقول «ميكيافلي» «الغاية تبرر الوسيلة» وهنا الغاية هي السلطة لذلك الوسيلة إلى بلوغها لا تهم.

أما «هيراقليطس» اليوناني يقول «إن العنف أبو سائر الأشياء» فلو دققنا النظر لوجدنا أن كل الأمور الايجابية كان أصلها عنف، مثل هطول الأمطار وهذا ايجابي لكن قبله يأتي البرق والرعد والسحب السوداء، والنجاح في الامتحان هو فرح وهو شيء ايجابي لكن قبله يكون الضغط والدراسة والاجتهاد، وأيضا لو أردنا قطعة أرض خضراء مثمرة بالثمار يجب علينا قبل كل شيء حرثها لكي تظهر، وهنا يكون العنف مشروع.

حتى في الجانب الديني يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «لا شفاعة في الحدود» فهناك بعض المواضع في الشرع الإسلامي يجب عدم التسامح فيها مثلا عند سرقة أحد لإنسان آخر في ماله، هنا إن



لم نقطع له يده ونطبق عليه الحد سيتفشى هذا عند باقي الناس ويرونه أمر عادي، بالإضافة إلى ذلك الجهاد هو سلوك يمارس بالقوة فمن غير المعقول أن يأتي العدو بالسلاح والقوة ونقابله بالتسامح، هنا يجب الدفاع عن البلاد واستعمال القوة قدر المستطاع.

أما في الفكر الألماني فيرى «نيتشه» في كتاب «جينالوجيا الأخلاق» بأن الأخلاق التي تنادي بالتسامح هي من وضع الضعفاء وهي كذبة اخترعها الإنسان الذي لا يستطيع إثبات نفسه ضد الآخر وهي حجة من لا قوة له لأن القوي يحارب ضد الآخر حتى يأتي بحقوقه.

«سيغموند فرويد» يرى أن العنف هو شكل من أشكال اللاشعور إذ يقوم الإنسان باخراج مكبوتاته إلى العالم الخارجي بالعنف فالمشاعر السلبية المكبوتة في داخله تتحول في الخارج إلى تحطيم وهو ما نراه عند خروج الشعب في المظاهرات، فالبعض يحطم ممتلكات الدولة لأنه لم يصل إلى مبتغاه.

3) النقد:

صحيح أن العنف قد يأتي بنتائج وفوائد على الإنسان ولكن مقابلة العنف بالعنف يولد عنف آخر ولا يجعل النار تنطفئ أبدًا، كما يوجد مواطن أخرى من الدين مطلوب التسامح فيها فمثلا عند مجادلة أهل الكتاب، كما أنّ «ميكيافلي» ينعت بشيطان الأمة، وإذا تعامل الحاكم مع شعبه بذلك الشكل يأتي يوم ويسقط بمعارضة من طرف وزراءه أو الشعب وسيخونه شعبه في وسط الحروب ولن يقفوا معه لأنه لم يعاملهم جيداً.

4) الموقف الثاني:

يرى أصحاب الموقف الثاني أنه يجب مقابلة العنف بالتسامح لأن العنف ليس من سمات الإنسان بل هو سلوك حيواني وإنما الإنسان يسمع عن ذلك بالتسامح والعفو والمصافحة وبالتسامح نحقق نتائج أفضل من العنف، وأهم من دافع عن هذا الموقف «المهاتما غاندي» «هابرماس» «خروتشوف» «كانط» وكانت حججهم كالآتي:

يقول «غاندي» «سياسة اللاعنف ليست حكرًا فقط على القسيسين بل هي موجهة لعامة الناس» في عوض استعمال الناس للعنف نستطيع جلب حقوقنا والوصول إلى مبتغانا عن طريق أساليب أخرى مثل سياسة اللاعنف التي تحتوي على الكثير من المبادئ منها أن يقوم الشعب بالعصيان المدني وهو ما قام به الشعب الجزائري في الثورة لمدة ثمانية أيام بتوقف جميع القطاعات عن العمل من أجل رد الاعتبار من الدولة أو أن يدخلوا في اضراب مفتوح عن الطعام أو أن يخرج الشعب في مسيرات سلمية أو أن يفتحوا جمعيات ونوادي يطالبون بحقوقهم بشكل منظم دون أن تكون هناك خسائر مادية أو بشرية.

أما «هابرماس» فقد كان يقول «كلما فتحنا منافذ التواصل كلما أصبحنا أمم ذات قيمة» دول العالم الأول المتحضرة بعدما لاحظت أن العنف يعود بنتائج سلبية على البشر كالخسائر المادية مثل تحطيم الممتلكات والمنشآت العامة والبشرية كالموتى والأمراض النفسية والأمراض المزمنة والعقد عند الكثير من الأطفال فأصبحوا يلجؤون إلى التواصل والمعاهدات والتشاور والتنازل عن الحقوق في سبيل تحقيق فائدة الطرف الثاني لكي لا تزيد نسبة الخسائر مثل الاتحاد السوفياتي، حيث لجأ «خروتشوف» إلى التعايش السلمي مع الولايات المتحدة الأمريكية بعدما حدثت تشققات داخل الكتلتين وهذا التعايش كان له نتائج ايجابية مثل معاهدة سالت الأولى والثانية التي كان من بنودها تحطيم السلاح وعدم استهلاك النووي العابر للقارات والتواصل أيضاً لجأت إليه الجزائر وفرنسا وهذا ما يسمى معاهدة ايفيان ومن بنودها وقف إطلاق النار، وكذلك الأمم المتحدة حددت يوم 16 نوفمبر يوم السلم العالمي وكل هذا لكي يتجنب العنف لأنه لا فائدة منه.



العنف والتسامح

فمن ناحية الدينية نحن المسلمون لدينا أصول وسنن معينة نسير وفقها ولا نخالفها وكلها تتمحور نحو فكرة التسامح بين الناس فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الأذى من عند من يكفر بالله لكنه عندما تمكن من كبار ملوكهم لم يقابله بالعنف ولم يقتله إنما جعله مربوط في عمود المسجد ليرى المسلمين كيف يمارسون هذا الدين فوجدهم متسامحين يجودون على بعضهم بكل ما لديهم و رأى أخلاق عظيمة مبنية على فكرة التسامح السامية التي تحمل الكثير من القيم و بعد مرور ثلاث أيام قام بإطلاق سراح ذلك الملك فأسلم مباشرةً و ذهب لبلدته و أخبرهم بما عاشه و أن الإسلام و دين محمد عليه الصلاة السلام مبني على الأخوة و المحبة النابعة من التسامح فأسلم معه الكثير من الناس لأنه لا و يوجد من يحب الحرب و الاضطهاد و عندما ذهب الى الطائف لنشر الإسلام و قابلوه بالعنف و رموه بالحجارة لم يقابلهم بالعنف بل دعا الله لكي يخرج من أصلابهم من يعبد الله و أن يهديهم ومنه مقابلة العنف بالتسامح والصبر حتى و إن تأذى المسلم لكن ليس في الأمور التي تنتهك فيها مبادئ شريعتنا أمر مطلوب يقول الله تعالى في آخر سورة آل عمران «يأيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا ورابطوا واتقو الله لعلكم تفحون» ويقول «وان تصبروا خير لكم» وخصوصا استعماله عندما نريد مجادلة واقناع الكفار أو أهل الكتاب في مسألة معينة وهذا من أجل الابتعاد عن العنف لأنه لا يجلب أبدا نتيجة يقول الله سبحانه في سورة النحل «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» ناهيك على أن من بين الأسباب التي ساعدة إنجلترا على الخروج من الظلمة والقيود التي كانت فيها كالجهل العلمي والتفكك الديني الى تقدم في الكثير من المجالات والسيطرة على الكثير من العلاقات ودخلوا فيما يسمى عصر التنوير هو : تحقيقهم وحرصهم على مبدأ التسامح بين الناس الذي من مقوماته عدم التدخل في شؤون الناس الأخرى بل أن يمسك خاصة نفسه.

ويرى «كانط» أنه يجب علينا أن نمارس الخير لأنه خير ونبتعد عن الشر لأنه شر، والعنف يصنف ضمن الأمور الشريرة وليس ضمن الأمور الخيرة ويجب أن تكون أخلاق الإنسان مثالية وتخضع لقاعدة التعميم أي أن أعامل جميع الناس كما أريدهم أن يعاملونني وأعاملهم بنفس المبدأ، وكذلك قاعدة الغائية أي أن أعامل الناس كأنهم غاية وليس كوسائل بل ان اعاملهم بنيه صادقه ولا أرجو من وراء ذلك منفعة، وكذلك قاعدة الحرية، أي أن لا أكون مكرهًا على فعل الأمور الحسنة، بل أكون حرًا وأعامل الناس بمحض إرادتي وبنية صادقة.

3) النقد:

لقد وفق أنصار هذا الاتجاه في طرح رأيهم إلا أنه يتخلله سلبيات كثيرة فالمسامحة المفرطة التي نص عليها غاندي تؤدي إلى المذلة ولا تعلي من شأن الإنسان، وما أتى به «كانط» هو ما أراده أن يكون مطبق من مثالية لكن تلك الصفات ملائكية و يصعب الوصول لها ولا يمكن تطبيقها في أرض الواقع كثيرا يقول احد الفلاسفة «يدا كانط نقيتان لكنه بلا يدان»

6) التركيب:

وبعد التطرق إلى مختلف الآراء والأفكار التي جاءت في الموقفين رأينا ان أن الموقف الأول يتحدث حول مشروعية العنف وإمكانية استعماله، بينما يرى الثاني أن العنف غير مبرر ويجب التسامح والصفح ولكن يجب علينا أن نقول أنه قبل اللجوء إلى العنف يجب علينا المرور بمراحل ثلاث أولا مناقشة الطرف الثاني والحوار معه وتحليل المشكلة معًا وإذا توصلنا إلى حل فهذا هو المطلوب وإذا لم نتوصل نهجره ونبتعد عنه، ولكن إذا بقيت المشاكل نضطر إلى استخدام القوة والعنف وهذا ما قاله سبحانه وتعالى (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) النساء: 34



7) الخاتمة:

وفي الأخير وكحل التساؤل المطروح في المقدمة نستنتج أن التسامح هو أفضل من العنف ولكن قد يأتي العنف بنتائج ولكن قبل اللجوء إليه يجب أن نتناقش ونتحاور مع الطرف الآخر، فإذا لم يأتي الحل نلجأ إلى العنف، وهذا لأنه لا يمكن إنكار ما جاء به اصحاب الموقف الأول حيث أن العنف يأتي بنتائج في السياسة والسيطرة على الشعب وكذلك في الطبيعة لأنها قائمة على العنف والتضاد وكذلك في الجانب الديني في اقامة الحدود والجهاد في سبيل الله ولكن هذا لا يعني أن الموقف الثاني خاطئ بل لا يمكن أن ننكر أن الموقف الثاني كانت له نظرة من زاوية أخرى ونبه أن سياسة اللاعنف قد تأتي بالحقوق والمطالب وكذلك أن التسامح يقرب الدول ويمكن استعماله كوسيلة للضغط على الدول، فالتسامح من سمات الإنسان الفاضلة كما نص عليه «كانط» وعلى هذا نقول أن التسامح يرفع الإنسان إلى درجات عليا ولكن أحياناً نلجأ إلى العنف كحل ثاني للمطالبة بالحقوق أو تنظيم الأمور يقول تعالى (فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ()وَإِنۡ نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ) [التوبة: -11 12]